دراسات
في العلوم السياسة

الحرب بين الفوضى الدولية وقادة الدوّل
(الحرب الروسية على أوكرانيا انموذجا)

المدرس الدكتور
اسحاق يعقوب محمد
جامعة الكوفة ـ كلية العلوم السياسية

الحرب بين الفوضى الدولية وقادة الدوّل
(الحرب الروسية على أوكرانيا انموذجا)

The war between international chaos and state leaders

(the Russian war on Ukraine as a model)

المدرس الدكتور
اسحاق يعقوب محمد
جامعة الكوفة ـ كلية العلوم السياسية
Lect. Dr. ESHAQ YAQOOB MUHAMMED
AL-kufa University / Faculty of Political Science
ishaaqy.alsharshawi@uokufa.edu.iq

الملخص:

تتميز البيئة الدولية بظواهر متعددة منها الصراع والحروب والسلام والتعاون إلا إن اختلاف المصالح والثقافات هي ظاهرة ثابتة لحد الآن وهي تنتج الكثير من المواجهات بين الدول والي قد تتحول الى توترات حادة جداً قد تتحول لأسباب متعددة الى حروب طاحنة. ولعل أهم هذه الأسباب هي قيادات الدول التي لا تتسم بالحكمة والوعي الكافيين والخصائص النفسية المتزنة. لهذا فإن البيئة الدولية المتسمة بالفوضى تتطلب فيما تتطلبه للتغلب على النتائج السلبية لتفاعلاتها الى قادة دول تتميز بخصائص عقلية ونفسية معينة. ولهذا فإن البيئة الدولية هي حالة صراع بين افرازات البيئة الاجتماعية الدولية وبين الانسان متمثلا بقادة الدول. تعدُّ روسيا دولة كبرى ومحورية في النظام الدولي منذ قرون وساهمت بشكل فاعل في صياغة النظام السياسي الدولي منذ أن كان أوربيا في القرن السابع عشر والثامن عشر حتى تحوله الى نظام دولي في القرون الثلاثة الأخيرة، ولكنها تواجه اليوم أزمات متعددة ناجمة عن هشاشتها الاقتصادية التي تترك أثارا سلبية على دورها ومكانتها الدولية. لقد كانت لروسيا استراتيجيات وسياسات متعددة تجاه مناطق العالم الاستراتيجية في محاولة منها لاستعادة دورها ومكانتها الدوليين من أجل حضور فاعل على المستوى العالمي لكنها عانت من عدم تحقيق نجاحات كبيرة في هذه المناطق. تركت

هذه الاخفاقات نتائج وتبعات سلبية على الدولة الروسية وتوجهات قادتها نحو محيطها الاقليمي والعالمي وبالتالي على مجمل سياستها الخارجية.

الكلمات المفتاحية: روسيا، أوكرانيا، الحرب، الفوضى الدولية، قادة الدول، المكانة الدولية.

Abstract:

The international environment is characterized by multiple phenomena, including conflict, wars, peace and cooperation, but the difference in interests and cultures is a constant phenomenon so far, and it produces many confrontations between countries, which may turn into very severe tensions that may turn for various reasons into intense wars. Perhaps the most important of these reasons are the leaders of countries that are not characterized by sufficient wisdom, awareness, and balanced psychological characteristics. Therefore, the chaotic international environment requires, in order to overcome the negative consequences of its interactions, leaders of countries characterized by certain mental and psychological characteristics. Therefore, the international environment is a state of conflict between the secretions of the international social environment and the human being represented by the leaders of states.

Russia has been a major and pivotal country in the international system for centuries and has actively contributed to shaping the international political system since it was European in the seventeenth and eighteenth centuries until its transformation into an international system in the last three centuries. Today, however, it is facing multiple crises resulting from its economic fragility, which has negative impacts on its role and international standing. Russia has had multiple strategies and policies towards the strategic regions of the world in an attempt to restore its international role and status in order to have an effective presence at the global level, but it has suffered from not achieving great successes in these areas. Its different interests and political orientations prevented Russia from continuing to join these organizations or to a great cooperation between it and the West.

Key words: Russia, Ukraine, war, international chaos, state leaders, international standing.

المقدمة

قامت القوات الروسية المسلحة يوم ٢٤ شباط ٢٠٢٢ بهجوم واسع على دولة أوكرانيا المجاورة لروسيا في حدودها الغربية بحجة تعرض الأمن القومي الروسي لتهديدات خطيرة ناجمة عن سعي حلف شمال الأطلسي(الناتو) الى ضم أوكرانيا اليه وقيام أوكرانيا باضطهاد الأوكرانيين ذوي الأصول الروسية في إقليم الدونباس. أدى ذلك الى خلق أزمة دولية حادة بعد أن دخلت الولايات المتحدة ودول أوربا وغيرهما الى اعتبار روسيا دولة معتدية على أوكرانيا وقام بفرض عقوبات اقتصادية واسعة جدا على روسيا وتعهدت بتزويد أوكرانيا بالمساعدات الانسانية والعسكرية والمالية وردت روسيا بأنها لن تدخر أي قدرة عسكرية لديها في الرد على ذلك في حال رأت ذلك ضروريا لحماية روسيا وأمنها القومي وهذا يشير الى أمكانية استخدام اسلحة الدمار الشامل ومنها الأسلحة النووية.

أثارت هذه الحرب الكثير من الأسئلة والتكهنات بشأن الأسباب الحقيقة التي تقف وراءها والأهداف التي تسعى روسيا لتحقيقها بشن هذه الحرب. كما أن احتمالات توسع الحرب ودخول أطراف أخرى فيها أو استخدام الأسلحة النووية أو تحول الحرب الى حرب عالمية، كلها كانت محل جدل ونقاش وتحليل بين المفكرين والسياسيين والدول والمنظمات الدولية وذلك لخطورة هذه الحرب على الأمن والسلم العالميين.

ومن هنا جاء هذا البحث لكي يبحث في أعماق هذه الأزمة من خلال العودة الى البحث في مفهوم الحرب وحقيقتها ودورها وأسبابها ودور المجتمع الدولي ودور قادة الدول فيها .

مشكلة البحث

إن تفسير شن الحرب بالعامل الأمني أو بالتهديد للأمن القومي للدول يوقع الدول بعض الأحيان في تهديد أمني أكبر نتيجة الحرب. فالحرب التي تشنها بعض الدول من أجل حفظ أمنها القومي تتحول نفسها في بعض الأحيان الى تهديد أكبر لذلك الأمن من التهديد الذي شنت من أجله الحرب لرده، وهذا يتطلب البحث عن تفسير أعمق لتلك الحروب.

إن قيام روسيا بشن الحرب على أوكرانيا يعني بكل وضوح لدى روسيا إن الولايات المتحدة ودول أوروبا ودول أخرى في العالم حليفة للغرب ستقوم بفرض عقوبات اقتصادية واسعة جدا عليها، إلا أنّ روسيا في نفس الوقت تدرك حاجتها الكبيرة جدا للأموال الغربية لتحريك الاقتصاد الروسي الذي يعاني من أزمات منذ الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨ وكذلك حاجة روسيا للتقنية الغربية من أجل العودة الى مكانها الدولية كما أن روسيا تدرك أن هجومها العسكري على دولة أخرى ذات سيادة يعُّد مخالفا لقواعد القانون الدولي .كما أن الحرب بصوة عامة (كل

حرب) لم تعد ذات مقبولية لدى الرأي العام العالمي فكل شعوب العالم ومنه الشعب الروسي باتت تشمئز من فكرة الحرب وترفض اللجوء اليها لحل النزاعات الدولية وتصف البادئ بها بأقسى الصفات سلبية ولا أخلاقية. كل ذلك يجعل الأمن القومي الروسي في تهديد أمني اكبر من التهديد الذي شنت روسيا من أجله الحرب عل أوكرانيا.

فرضية البحث

ترى روسيا أن توسع حلف شمال الأطلسي ليضم أوكرانيا و/أو انضمامها الى الاتحاد الأوربي تهديدا خطيرا لأمنها القومي إلا أن ذلك وحده لايكون كافيا لتفسير شن الحرب لأن الحرب تحتاج الى تفسير أعمق وأشمل يستند الى واقع العلاقات الدولية وتفاعلاتها وقدرة أو عدم قدرة قوى ضبط الاضطرابات التي تحصل في النظام الدولي في كبح جماح التحول نحو الحرب. ففي حالة روسيا وأوكرانيا لايمكن تفسير الحرب بتهديد الأمن القومي الروسي مالم يستند هذا التفسير الى قوة دفع قوية نحو ذلك ناجمة عن فشل روسي مزمن في سعي روسيا لاستعادة مكانتها الدولية وهذا يترك نتائج سلبية على توجهات قادة الدولة الروسية بصورة خاصة وعلى الأمة الروسية بصورة عامة يقود الى اتصاف سياستها الخارجية بالعنف والعدوانية.

منهج البحث

سيتبع البحث المنهج الاستقرائي في دراسة خصائص البيئة الدولية وما تنتجه من تفاعلات ونتائج على العلاقات بين الدول وأيضا في دراسة دور قادة الدول في التعامل مع هذه التفاعلات والنتائج وكيف يقود هذا الدور الى تفاقم التوترات الى حروب أو الى احتواء الأزمات وعدم تصعيدها وبالتالي استتباب الأمن والسلام. وسيكون للمدرسة الواقعية في العلاقات الدولية حضوراً متميزا في رؤية البحث ونتائجه حيث الربط بين واقع البيئة الاجتماعية الدولية ودور الانسان (قادة الدول) فيها فيما يخص الحرب والسلم.

هيكلية البحث

سيتم دراسة البحث من خلال مبحثين وفي كل مبحث مطلبان. المبحث الأول: مفهوم الحرب. المبحث الثاني: الحرب والمكانة الدولية (مع ملخص دراسة لنموذج الحرب الروسية على أوكرانيا).

المبحث الأول: مفهوم الحرب.

يقتضي البحث العلمي قبل الدخول في بيان دور الحرب في بناء المكانة الدولية للدول وتعزيزها أن نقوم بتعريف الحرب، ولكننا في الواقع غير مضطرين للبحث المفصل في تعريف الحرب لأن هذا البحث لا يتسع للخوض في تفاصيل هذا الموضوع كما أننا لا نريد عرض ملخص كامل لتعاريف الحرب لأنه لن يكون وافيا ولا

مرضيا. لهذا سنعرض للتعاريف التي يمكن أن تلتقي مع حالة الحرب المدروسة هنا وهي حرب روسيا على أوكرانيا. إن كل التقاء قتالي بين طرفين يمكن ان يسمى حربا لكن الحرب تتخذ إضافات لها حسب نوع الأطراف المتحاربة وبذلك يكون للحرب تسميات متعددة، وقد تتنوع الحرب بتنوع الأسلحة المستخدمة فيها. يميز القانون الدولي بين الحرب الأهلية التي تدور رحاها بين طرفين من دولة واحدة، والحرب بين الدول، التي يصفها القانون بأنها منازعة مفتوحة ومعلنة بين دولتين مستقلتين، والتي تشنها حكومتاهما. لكنه هذا التعريف يغفل الحروب التي وقعت دون اعلان رسمي للحرب ويغفل أيضا المواجهات العسكرية بين الوحدات السياسية غير المعترف بها من جانب الدول الأخرى رغم أنها حروب فعلية. وتتميز الحرب عن العنف بأهدافها السياسية فقد تم الربط بين الحرب والسيادة لأنه تم تعريفها كإجراءات من شأنها التعدي على السيادة. هذا المفهوم للحرب يتسم بالحداثة لأننا لا نستطيع قبل القرن السابع عشر أن نتحدث عن حقاً عن الدول أو أن نميز بشكل فعال بين العنف داخل الدول وفيما بينها. وهناك شرط كمي للحرب وهو أن تخسر أحد أطراف الحرب ما لا يقل عن ألف قتيل في المعركة، يمثل هذا تدبيراً اعتباطياً، بطبيعة الحال، بيد أنه تم الاتفاق عليه بين الباحثين في هذا الميدان[١].

ربما يكون هذا هو المعنى المسمى بالكلاسيكي للحرب وهو المعنى الذي افرزته التطورات التاريخية في تكوين أوربا الحديثة، فهي حرب مواجهة بين دول، تكون على وجه العموم ذات حجم وقدرات متضارعة، وهي تندلع على مرجعية من أهداف سياسية واضحة تريد فرضها على إرادة الخصم ولذلك فهي تفترض وضع استراتيجيات توفر للأداة العسكرية الصورة الفضلى والفعالية المثلى. إنه تكريس للعبة حاصل جمعها صفر، إذ تستند الى فكرة بأن ما يحققه أحد المتحاربين من ربح يساوي ما يمنى به خصمه من خسارة[٢]. هذا المعنى الكلاسيكي للحرب يفترض حيّز لقاء أو مكان تدور فيه مواجهة حاسمة بين جيشين، تضبطهما قواعد لعبة تكتيكية متقنة من خلال جيوش نظامية تدخل في اشتباك عسكري. ويبدو أن هذا النوع من الحروب بعد عام ١٩٤٥ قد هجرته أو صار مستحيلا بين دول الشمال ولكنها أخذت ظهر في الجنوب حين نهض ليحقق استقلاله. كان انهاء الاستعمار يسجّل ضرباً من الانتقال بين الحرب الكلاسيكية وبين النزاعات الجديدة. كانت الدولة حاضرة في الأولى وعلى القل من جانب واحد. أما في النزاعات الجديدة فإن الدولة هي الطرف الغائب بينما تتصارع عرقيات وقوميات وأديان ومذاهب وأيديولوجيات داخل كيان يسمى دولة دون وجود المسمّى حقيقة. وفي هذه النزاعات الجديدة ينعدم التمييز بين المدنيين

والعسكريين وتخاض المعارك باسم الهويات المختلفة. إنها النزاعات أو الحروب الجديدة الناجمة عن أزمات اجتماعية تعيشها المجتمعات المعنية. فهي بعيدة كل البعد من أن تكون نتيجة منافسة فيما بين الدول، وإنما تنبع عن فشل الدولة وضعفها وعجزها عن تأكيد ذاتها وإعوازها الى المشروعية أو الشرعية وعجزها عن مواجهة ومجابهة التفكك الاجتماعي. ففي حين كانت الحرب في أوربا بعد القرن السابع عشر امتداداً لفعل سياسي، فإن الحروب الجديدة في دول الجنوب تظهر كنتيجة لقصور سياسي أو إفلاس في السياسة[٣].

من الواضح أن الحرب الروسية على أوكرانيا ليست من نوع الحروب الجديدة بل هي من نوع الحرب الكلاسيكية التي قيل أن أوربا أصبحت مؤمنة منها وربما كان القصد من هذا القول هو أوربا الغربية أو أوروبا ذات الأنظمة الديمقراطية المتماسكة وليس أوروبا الشرقية ولا حتى روسيا بنظر الغرب.

على كل حال فإن ظاهرة الحرب لازمت المجتمع البشري منذ وجوده حتى اليوم ويبدو أن إلغاءها مازال أمنية أو حلم من أحلام الطفولة البشرية، كتب كينيث. ن. والتز في خمسينيات القرن العشرين: إن محاولات استئصال الحرب – مهما كان نبل إلهامها ومثابرة مساعيها–لم تأتِ بأكثر من لحظات عابرة من السلام بين الدول. فهناك تفاوت واضح بين الجهد والثمرة، بين الأمنية والنتيجة. يقال لنا إن أمنية السلام تسري بقوة وعمق في الشعب الروسي، ونحن مقتنعون بأن هذا ينطبق أيضاً على الشعب الأمريكي. توحي لنا هذه الكلمات بشيء من الراحة، ولكن يصعب التصديق في ضوء التاريخ والأحداث المعاصرة بأن الوضع المطلوب سينبثق عن هذه الأمنية[٤].

لقد عملت الحرب أو أواليتها (ميكانيزماتها)، من حرب الثلاثين سنة الى الحرب العالمية الثانية، رسم معالم قارة أوروبا، وأقامت الحدود، وبنت الأمم، ودعمت الدول وعززتها. فمن الفيلسوف الانكليزي توماس هوبس وصولاً الى ريمون آرون، فإن الأوربيين ما كانوا ليتصوروا التاريخ إلا بما هو تاريخ مأساوي، ولا يتمثلون الحرب إلا بما وهي ماثلة في نطفة حداثتنا السياسية، وفي مورِّثاتها أو نسيجها وخلاياها. إن أولى هذه الحروب الحديثة هي التي أنهضت المعاهدات التي ختمت تلك الحروب، وجرى توقيعها في ويستفاليا، العام ١٦٤٨ كعلامة خاصة بنظامنا الدولي، ذاك النظام الذي مازلنا، منذ القرن التاسع عشر، نزعم التقدم به لنتقاسمه مع العالم كله. إن اوروبا ما بعد الاقطاعية قد بنت نفسها تحت تأثير تنافس سياسي–عسكري بين المراكز الملكية التي فرضت نفسها شيئاً فشيئاً[٥].

عادت هذه الرؤية لتتعمق على يد كارل شميدت (١٨٨٨– ١٩٨٥) الذي ربط بين الحرب وبناء الأمم وهو ما يؤيده التاريخ الأوربي

على الرغم من النتيجة الخطيرة التي يفض اليها حجاجه والتي تجعل أن العدو هو وظيفي بقدر ما هو أساسي: فإنما تبنى السياسة عنده بمعارضة الآخر والتصدي له، والعدو، وهو من تعيِّنه الدولة وتقرر أنه عدو، يُسهم على نحوٍ ناجع مفيدٍ في تعزيز الخير القومي والمصلحة والمنفعة القومية. وهذه الفكرة تضع ببساطتها فكرة العدو نفسها في المركز من اللعبة الدولية كما يتعقّلُها الغرب، ويفكر بها، بحيث يجعل منها محرك السياسات التي يُلهمها ويوحي بها. الحرب مجابهة بين أعداء، فلا يمكن تعقلها وتفكيرها بمنأى عنهم هم[٦].

ولابد من الاعتراف هنا بأن اللعبة التي يكون «حاصل جمع الطرفين فيها صفراً»، ليس لها من معنى يُذكر اليوم: فالحرب لم تعد تسوّي المنافسة بين الأمم؛ فهذا الدور بات مناطاً بالتهديد بالحرب النووية وحده. بات سباق التسلح يحلُّ محل استعمال السلاح. لم تبق إلا الحفافي الإمبراطورية التي كانت تتبيّن وتتجلى، بمقدار تفكك الاتحاد السوفيتي، على أنها تظل بؤراً محتملة أو حقيقية للنزاع. والنزاع اليوغسلافي الذي شغل تسعينيات القرن العشرين والحرب الجورجية عام ٢٠٠٨ والحرب في اوكرانيا اليوم هي شواهد على ذلك، مع أنّ هذه النزاعات والحروب تخلط على نحو لا سابق له، مقاييس الحرب الكلاسيكية ومعاييرها مع مقاييس ومعايير حركات الأنصار في حرب الأنصار (أو حرب العصابات) ، وبل مع الحركات الاجتماعية. فهي باتت تنتمي الى زمن جديد[٧].

هناك إجماع بين العلماء على أن الحرب بين الدول في انخفاض على عكس العنف داخل الدول ليس بعد الحرب العالمية الثانية بل طوال العصر الحديث وكان العقود التي تلت العام ١٩٤٥ الأكثر سلمية في التاريخ المسجل من حيث عدد الحروب بين الدول، وحجم الخسائر في الأرواح التي نجمت عنها. وأسباب هذا الانخفاض كما يرى علماء العلاقات الدولية هي التنمية الاقتصادية، وتزايد القوة التدميرية للحرب، وانتشار الديمقراطية، ونمو التجارة والاعتماد المتبادل بين الاقتصاديات المتقدمة، والمؤسسات والأعراف الدولية، والاشمئزاز الواسع النطاق من الحرب كممارسة[٨].

وفيما يتعلق بالسبب الأخير فقد صارت المشاعر والكتابات المناهضة للحرب أكثر انتشارا وشعبية في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، كما حققت انتشارا أكثر بعد كل حرب عالمية. بلغ النفور من الحرب مستويات عالية في العام ١٩١٤، كما ظنت السلطات في العديد من البلدان أن أيّ حرب ستنشب بين القوى العظمى ستكون طويلة ومكلفة ومدمرة للمنتصر والمهزوم على حد سواء. وكان الرأي العام الأوروبي أكثر مناهضة للحرب في العام ١٩٣٩، حتى في ألمانيا، وهي السبب الرئيسي في الحرب العالمية الثانية. كانت المشاعر

المناهضة للحرب مُعلنة بما فيه الكفاية لدرجة أنه صار لزاماً على القادة الأشد عدوانية – بما فيهم هتلر وموسوليني – تأكيد نواياهم السلمية. وقامت اليابان بدورها بتبرير غزوها للصين على أنه يهدف الى إحلال السلام أو استعادة النظام. كما أن الولايات المتحدة الأمريكية رغم قيامها بشن حروب في القرن الحادي والعشرين إلا أن رأيها العام يتسم أيضاً بمناهضته للحرب من الناحية النظرية، على الرغم من أنه عملياً أيد حروب أمريكا في كوريا، وفيتنام، وأفغانستان، والعراق لأسباب تتعلق بالأمن القومي الأميركي، إلا أن هذا التأييد راح يتراجع مع طول فترة الحرب و/أو مع تبين عدم صحة الأسباب التي شنت الحرب لأجلها و/ أو تصاعد الكلفة البشرية والمادية لها[٩].

يقودنا كل ذلك الى السؤال الأهم: لماذا إذن شنت روسيا الحرب على أوكرانيا؟ لابد من أن تكون الإجابة عبر بيان –ولو بنظرة عامة– النظريات التي فسرت الحرب أولاً، لتكون منطلقا لتطبيق النظرية التي نراها الأكثر اقترابا من تفسير الحرب الروسية على أوكرانيا ثانياً.

المبحث الثاني

الحرب والمكانة الدولية (مع ملخص دراسة لنموذج الحرب الروسية على أوكرانيا)

ينطلق تحليل نفسي للعدوان والحرب من أن النشوء المتبادل للخوف وجنون العظمة، والأمر الآخر الأهم ألا وهو تصعيد الاستعدادات العسكرية لدى كل من فرنسا وألمانيا في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى مباشرة قادتا الى هذه الحرب العالمية. وهذا يعني أنه ما أن يبدأ حلزون الخوف والسلاح هذا حتى تغدو الحرب أمراً لا مفر من فعلاً. إن التجارب السيكولوجية المتعلقة بالتعاملات العدائية المتبادلة بين شخصين توفر المجال للنظر عميقاً في ديناميكية تعاملات من هذا النوع. فعلى ابسط الأصعدة نجد من الواضح تماماً أن تعرضك للتهديد أو الاستفزاز يؤدي في معظم الحالات الى العدوان المضاد. ثانياً تدل نتائج هذه الدراسات على أن الإخفاق في تنفيذ خطة عدوانية يضع المرء في موقع الضعيف تجاه خصم عدواني وبالتالي يجعل ردود الاسترضاء والمصالحة سلوكاً محفوفاً بالمخاطر. وبنقل هذا الى الصراع الدولي، يمكن للمرء أن يرى سيكولوجية الحرب ميدانياً. فنزع السلاح من طرف واحد يضع الأمة في وضع الضعيف الهش، في حين أنها إذا ما تعرضت للتهديد، يتعين عليها أن تقوم بتهديد مضاد لكي تحافظ على توازن القوى[١٠].

تمثل القولبة وفق أنماط عامة بتقسيم العالم الى أبيض وأسود، الى أمم خيرة وأمم شريرة وكذلك التلاعب بالإعلام من خلال اختيار

المضمون الذي ستنقله وسائل الإعلام وكذلك تشويهه، بحيث يجري تجاهل المعلومات الايجابية المتعلقة بالخصم، وكذلك إهمال المعلومات السلبية المتعلقة بالذات. بذلك فإن حجب الاتصال أو تشويهه يحول دون «اختبار –الواقع» وكذلك دون تصحيح الصور الزائفة. تقول هذه النظرية أن الحرب تبدأ في أذهان الناس وأن الموقف هو ما نريده أن يكون ولهذا تبدو اسباب الحرب في هذه النظرية، سيكولوجية تماماً. وما السلاح إلا تعبير عن المواقف الذهنية هذه إلا أن النظرية هذه لها نسخة أكثر اعتدالاً تنظر الى العوامل النفسية بوصفها أحد أركان الموقف الذي يكون دائماً له أبعاد أخرى، عسكرية وسياسية واقتصادية أيضا. ومن هنا، يمكن للمرء أن يعتنق النظرية السيكولوجية بدرجات متفاوتة من الشدة[١١].

من المعلوم أن هناك نظريات كثيرة في تفسير ظاهرة الحرب بصورة عامة كما أن هناك نظريات متعددة ومختلفة أيضا في تفسير حرب معينة كالحرب العالمية الأولى أو الثانية او غيرهما. أن النظريات المتعلقة بتوازن القوى، وانتقال السلطة، والتحالفات، والإمبريالية الاقتصادية، والسياسة العسكرية، والسيادة الهجومية، والجمود العسكري، والحرب غير المقصودة، وسوء الإدراك تعتمد بشكل هائل على الأدلة المستقاة من الحرب العالمية الأولى. ولهذا فإن تعميمها على حروب أخرى تبقى مجرد افتراضات مالم تطبق على حروب أخرى وتدرس بشكل مقارن دقيق. إن الدراسات الاحصائية عن الحرب تواجه مشكلات تعجيزية، من بينها صعوبة – إن لم تكن استحالة – تلبية شرطين حاسمين بخصوص مجموعات البيانات: قابلية المقارنة واستقلالية الحالات. وهي لا تستطيع التعامل بشكل جيد، أو التعامل أصلاً، مع التعقيد السببي الناجم عن السبل المتعددة المؤدية الى الحرب، والاحتشاد غير الخطي، والدور المستقل المحتمل الذي تلعبه مسببات الحرب. وحين لا توجد حلول لهذه المشكلات فإنه لهذا السبب وأسباب أخرى فلن نطرح افتراضات حول متى يرجح أن تندلع الحروب. ولهذا سندرس الحرب بشكل مختلف؛ سنقوم بتفحص دوافع مثيري الحروب لتحديد اسباب لجوئهم الى القوة. وهذه المنهج يعني أنه اقل اهتماماً بأهدافهم الآنية (مثل التخلص من التهديدات العسكرية، أو احتلال الأراضي، أو الامتيازات التجارية) من اهتمامه بأسباب سعيهم الى تحقيق هذه الأهداف[١٢].

استناداً الى الرؤية النفسية للحرب والمنهج البحثي في بحث أسبابها علينا البحث استقرائياً في الأجواء التي وجدت فيها الشكوك والمخاوف التي تصاعدت وتحكمت في عملية صناعة القرار السياسي التي انتهت الى اتخاذ قرار الحرب الروسية على اوكرانيا.

لفهم أسباب الحرب، يجب علينا ان نبدأ بالدوافع وأهداف السياسية الخارجية التي تؤدي إليها. تزودنا الحرب بنافذة على اذهان القادة والنخب من صناع القرار، إذ إن القرارات المتعلقة بالحرب تميل الى أن تُوثَق على نحو أفضل من أنواع عديدة أخرى من السياسات الخارجية. ويمكن لتحليل الدوافع الكامنة وراء الحروب أن يزودنا بتبصرات مهمة حول الأهداف العامة للسياسة الخارجية، وكيف تغيرت على مر القرون؛ فبوسعها أن تخبرنا كيف كان، ولا يزال، يُنظر الى الحرب على أنها تقدم أو تؤخر تحقيق هذه الأهداف، وسبب ذلك[١٣].

وحين نريد معرفة الدوافع لدى صناع القرار السياسي الخارجي نواجه صعوبة تتمثل في أن صانع القرار نفسه قد لا يكون على وعي بتلك الدوافع[١٤].ولكن إمكانية أن نتعلم أمورا مهمة حول أسباب الحرب عن طريق فهم الأسباب الكامنة التي تدفع القادة الى الذهاب الى الحرب، تفترض أن معظم الحروب تنشب نتيجة لقرارات واعية من قبل القادة لاستخدام القوة أو على الأقل سعياً الى تنفيذ مبادرات يرون أنها محتملة التصعيد الى الحرب[١٥].

ولتجاوز هذه المشكلة يجب الاستفادة من الوسائل غير المباشرة للحصول على معلومات أو بيانات نفسية عن القادة من خلال تحليل الخطب، أو استنتاج تلك الخصائص والدوافع من تحليل السلوك، أو من خلال القياس والمقارنة بين الدراسات الإمبيريقية (التجريبية)، ومقابلة مساعدي صانعي القرار[١٦].

هل الحرب عادلة؟ تلك هي المسألة التي يبذل متخذي قرار الحرب جهودا لإثباتها ولا سيّما في عصرنا الحديث من أجل أن يبينوا الأسباب أو المبررات التي دفعتهم لاتخاذ قرار الحرب وبالتالي يسعون لإقناع الناس ولاسيما أتباعهم بأنهم مضطرون لهذا القرار، وعقلانيتهم كشفت لهم هذا الاضطرار وبالتالي فهم عادلون أو عدول في حربهم. وهم حين يفعلون ذلك فإن الدوافع الحقيقية لهم سيلفها الغموض ويصعب تحديدها. وبما أن مفهوم العدل يختلف من أمة الى اخرى فإن الموضوع يصبح غير خاضع لقاعدة أو مجموعة قواعد متفق عليها ويزداد الأمر صعوبة في تحديد هل كانت الحرب عادلة أم لا، وهذا بالطبع سيبعدنا عن معرفة دوافع الحرب الحقيقية.

إن مصطلح الحرب العادلة يجمع بين كلمتين هما الحرب والعادلة وهذا الجمع يبدو كأنه جمع بين متناقضين (يقال في المنطق أن اجتماع النقيضين محال) حين نضعه في ضوء الأدبيات والكتابات الهائلة في حقل العلاقات الدولية والتي تؤكد أن هذه العلاقات قائمة على أساس القوة والمصلحة وأن ما يقال عن قضايا العدل والسلام كمبررات للحرب ماهي إلا واجهات تخفي وراءها الدوافع الحقيقية للحرب وهي المصالح المادية والحصول على المزيد من عناصر القوة والنفوذ.

يعتقد هانس مورغنثاو أن أهناك ثلاثة توجهات للسياسة الخارجية: الإبقاء على الوضع الراهن، أو قلبه أو تُظهر الهيبة. ووفقا لمورغنثاو، يكون احتمال الحرب أقل ما يمكن عندما تمتلك القوى المحافظة على الوضع الراهن أفضلية عسكرية واضحة، وإرادة مثبتة لاستخدامها عند الضرورة للدفاع عن الوضع الإقليمي الراهن ضد جميع المنافسين. وتكون الحرب أقرب احتمالا عندما تمتلك دولة أو تحالف دول تتصف بتحديها للوضع القائم، أفضلية عسكرية، أو عندما تفتقر القوى المحافظة على الوضع الراهن الى الرغبة في دمج هذا التهديد ومعارضته. أما سبب وجود قوى تتحدى الوضع الراهن فهو عدم وجود تجانس ثقافي او توحد تكنولوجي، وبسبب الضغوط الخارجية، وقبل كل شيء، عدم وجود تنظيم دولي سياسي هرمي أي غياب الحكومة العالمية وكل ذلك يعبر عنه بصورة مختصرة بمصطلح الفوضى الدولية. إلا أن مورغنثاو ومعه زميله جون هيرتز يؤكدان على الدور الحاسم للقادة، فبوسع هؤلاء القادة الذين يتحلون بالحكمة والشجاعة تجنب الاندفاع نحو الحرب حتى في أكثر المواجهات توتراً[١٧].

في ضوء هذه الأفكار فإن السلم في الواقع الدولي متوقف على دور القادة وقدرتهم على تجاوز أو احتواء مخرجات البيئة الدولية المتصفة بالفوضى المنتجة للتوترات التي ستؤدي الى الحروب مالم يحل القادة دون ذلك. هناك مجموعة من العوامل التي لها دور في التأثير على القيادات في اتخاذ القرارات السياسية مثل الاستعدادات النفسية والأنساق العقدية الفردية ولكن هناك من يقلل من دور المتغيرات الشخصية ويؤكد على القيود المفروضة على صانع القرار، ومنها القيود التي تنبع من الدور الذي يؤديه صانع القرار، والأيديولوجية، والتقاليد، والبيروقراطية، والبرلمان، بالإضافة الى العديد من القيود التي تأتي من البيئة الدولية[١٨]. يعتقد بعض الخبراء المختصين أن السلوك الانساني يمكن أن يفسر بصورة أفضل عن طريق دراسة السمات البيولوجية وأكثر هذه السمات ارتباطاً بالعلاقات الدولية هي تلك التي تؤكد أن الإنسان عدواني بطبعه[١٩]. ولكن هذا يتنافى مع ما أعطاه مورغنثاو وهيرتز من دور للقادة في لجم تحول المواجهات مهما كان حجم توترها الى حرب بل سيكون دورهم مُفعِّلا لتحولها الى حرب.

لقد فشلت نظريا العدوان البيولوجية في تفسير اختلافات النزعات العدوانية بين الأفراد والجماعات. وقد أكد بعض الباحثين أن الأفراد لا يستجيبون للإحباط باتباع سلوك عدواني، إن أدركوا أن القواعد المستقرة في المجتمع هي التي منعتهم من تحقيق أهدافهم، أو إن أيقنوا أن فشلهم في تحقيق تلك الأهداف إنما هو نتيجة لعوامل تتعلق بالقدر أو بتصرفاتهم الشخصية.

وربما يؤدي الاحباط الى ردود فعل لا تتسم بالعنف مثل اللامبالاة، والانسحاب، والكبت، والعزلة، والسمو الذاتي، والسخط المعنوي[٢٠].

وسعى باحثون آخرون الى تحديد السمات الشخصية المختلفة وتصنيفها ودورها في تصرف النماذج الشخصية حين تقوم بدور صانع القرار. فالشخصية التسلطية تنزع الى السيطرة على المرؤوسين، والاذعان لمن هم أعلى منهم مقاماً، والحساسية لعلاقات القوة، والحاجة الى تصور العالم في إطار منظم، والاستعمال المفرط للنماذج النمطية في تصوير الأحداث والأشخاص، والتمسك بالقيم التقليدية، وتفضيل الخيارات الواضحة، والتعصب الوطني والعنصرية وهي الصفات التي ترتبط بالنزعة الى تأييد الحرب والعدوان.

ويؤثر الشعور باحترام الذات لدى القائد السياسي على سياسته الخارجية. ويعد بعض الدارسين انخفاض مستوى احترام الذات لدى القائد أحد العوامل المهمة التي تؤدي الى الحرب والصراع. ويميل الاشخاص الذين يتسمون بتقص احترام الذات الى التطرف الوطني، وفي هذه الحالة يربط الفرد بين هويته والدولة. وبذا يستطيع أن يرفع من درجة احترامه لذاته. كذلك، فإن تحقيق الدولة لنجاحات في مجال السياسة الخارجية، يؤدي الى ارتفاع مستوى احترام الذات لدى الأمة وقادتها[٢١]. وهذا يعني أن الاخفاقات قد تأتي بنتائج عكسية، أي بانخفاض مستوى احترام الذات لدى الأمة وقادتها.

إن فرضية هذا البحث أشارت الى أن السياسة الروسية الخارجية واستراتيجياتها في استعادة مكانة روسيا الدولية من خلال سعيها لإقامة تحالفات وشراكات استراتيجية مع مناطق إقليمية أو دول مهمة على الصعيد الدولي لم تكلل بالنجاح بشكل يعيد تلك المكانة المفقودة التي تعاني منها روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق والي سمّاها الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين لأنها أكبر خسارة جيوستراتيجية في القرن العشرين. وهذا الاخفاق والفشل الروسي المزمن يمكن أن يكون دافعا مهما في توجه روسيا العسكري لمعالجة تلك القضايا التي تعتبرها استراتيجية لأمنها القومي وخاصة حين يحاول أعداء الحرب الباردة الاقتراب منها والتلاعب بها بنظر روسيا ويزداد التوجس الروسي قلقا وتوترا حين تكون تلك القضايا جزءاً أساساً من تركة الاتحاد السوفيتي القريبة جداً من حدود روسيا اليوم.

يقول ريتشارد نيد ليبو* في دراسته عن اسباب الحروب من خلال معالجته لبيانات (٩٤) حرب في العالم منذ ١٦٤٨ الى الحرب بين روسيا وجورجيا في العام ٢٠٠٨ أن المكانة كانت مسؤولة عن اثنتين وستين حرباً كدافع أولي أو ثانوي. وكان الانتقام، وهو مظهر من مظاهر الروح، مُكتنفاً في ١١ أخرى. ليس هناك كثير

من الشك في أن الروح هي السبب الرئيس للحرب عبر القرون، وفي انها هي وعواقبها تم تجاهلها بصورة شبه كاملة في أدبيات العلاقات الدولية[٢٢].

لقد فشلت روسيا في استعادة مكانتها الدولية التي خسرتها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، فمنذ وصول الرئيس الحالي لروسيا فلاديمير بوتين الى السلطة عام ٢٠٠٠ والى اليوم وهو يحرك السياسية الخارجية الروسية وعبر استراتيجيات متعددة اتجاه دول وأقاليم العالم الاستراتيجية من أجل الوصول الى تحالفات وشراكات استراتيجية معها. ويجمع كل هذه الاستراتيجيات هدفا استراتيجيا واحداً هو استعادة المكانة الدولية لروسيا كقطب دولي الى جانب الولايات المتحدة والصين وأوروبا.

إن المتابعة الاستقرائية لسياسات روسيا الخارجية واستراتيجياتها المتعددة تجاه الدول والأقاليم المهمة في العالم يكشف لنا بوضوح حجم الاخفاق الروسي في تحقيق ما تصبو اليه. إن الأقاليم الاستراتيجية والدول المهمة والمؤثرة والتي قد تكون دول كبرى أو متوسطة والتي حاولت معها روسيا أن تقيم تحالفات أو شراكات استراتيجية كلها وصلت الى مراحل متدنية أو على الأكثر متوسطة في مستوى الأهداف الاستراتيجية التي تريدها روسيا.

إن مبادرة المثلث الاستراتيجي مع الصين والهند لم تتحقق بسبب رفض الصين والهند لها والعلاقات الاستراتيجية مع أوربا فشلت بشكل واسع والعلاقات مع الولايات المتحدة التي تم ادخالها في بيئة جديدة من التعاون في التسعينيات من القرن الماضي حتى تم تشكيل ما يسمى بالناتو – روسيا، كل ذلك تراجع بشكل ملحوظ وتدريجي بعد العام ٢٠٠٠. أما منطقة القوقاز فلم تشهد غير الاستخدام الروسي العنيف لقوتها العسكرية في ابقاء تلك المنطقة تحت هيمنتها ولكنها خسرت الكثير من احترامها ومكانها الدولية بسبب ذلك. فمن الشيشان الى جورجيا الى الصراع والحرب الأذربيجانية – الأرمنية كلها محطات لم تقدم فيها روسيا ما يغير الأوضاع الى السلام والتعاون والتنمية ولم تخضعها روسيا إلا بقوة السلاح. لا تختلف الأوضاع في سياسات روسيا تجاه منطقة آسيا الوسطى وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

لقد استخدمت روسيا القدرات العسكرية ثلاث مرات قبل استخدامها في أوكرانيا، الأولى ضد جورجيا عام ٢٠٠٨ وعملت على فصل إقليمين منها وأعلنتهما دولا مستقلة ولا ضمان لبقائهما دولا سوى القوة العسكرية الروسية وبسببها فرضت عقوبات دولية على روسيا. واستخدمت القوة العسكرية في سوريا عام ٢٠١٥ ضد القوى المعارضة للنظام السياسي السوري وتمكنت من حمايته وإبقاءه في السلطة بالتعاون مع أيران وقوى أخرى وبسبب ذلك أيضا فرضت عليها عقوبات دولية واستخدمت القوة العسكرية في

السيطرة على جزيرة القرم جنوب أوكرانيا عام ٢٠١٤ دون قوع حرب حينها واعتبرته جزءاً لا يتجزأ منها وشجعت الأوكرانيين في إقليم الدونباس في أوكرانيا على التمرد ضد السلطات الأوكرانية والمطالبة بالانفصال عنها وتشكيل جمهوريتين فيه.

اليوم تستخدم روسيا قدراتها العسكرية الكبيرة في حربها على أوكرانيا ويبدو أن روسيا تعول كثيرا على استخدام القوة العسكرية في استعادة مكانتها الدولية فبعد نجاحها العسكري في جورجيا وسوريا والقرم دون ردود عسكرية من جانب الدول الأوربية أو الولايات المتحدة، ولا حتى ردود اقتصادية كبيرة فإنها اليوم تكرر نفس السلوب الذي تعتقد روسيا انها من خلاله تستعيد مكانتها الدولية. فهي تريد أن تثبت – وهذا هو ما يهمها على ما يبدو–أنها قادرة على الرد حين يهدد الآخرون مصالحها أو أمنها القومي.

إن تفصيل هذه السياسات الخارجية الروسية واستراتيجياتها وبيان نتائجها وانعكاساتها على روسيا الدولة والقيادة والشعب الروسي ودورها في اتصاف السياسة الخارجية الروسية بالعنف واعلان الحروب، يحتاج الى بحث مفصل منفرد وهو ما نسعى لإنجازه إن شاء الله تعالى.

الخاتمة والاستنتاجات:

مثلت الحرب الروسية على أوكرانيا والتي اندلعت في ٢٤ شباط ٢٠٢٢ حدثا دوليا مهما وترتب عليه الكثير من الآثار والنتائج الدولية وفي مجالات كثيرة من المجالات الأساسية في النظام الدولي. ولهذا فقد كان البحث عن الأسباب والعوامل التي يمكن أن تفسر هذه الحرب أحد أهم المحاور التي تم البحث فيها والكتابة عنها خلال هذه المدة الزمنية التي لاحقت اندلاع الحرب. وبعد أن بحثنا هذا الموضوع في بحثنا هذا فقد تبين أن الحرب والسلم الدوليين يمثلان حالة جدلية بين واقع النظام الدولي وسمات القادة للدول.

إن واقع النظام الدولي التي تتسم بالفوضى بمعنى عدم وجود تراتب سياسي دولي هرمي أي عدم وجود سلطة دولية عليا يولد المواجهات بين الدول بسبب اختلاف المصالح والثقافات وتفاوت القدرات الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية والتعصب القومي والرواسب التاريخية، كل ذلك قد يصعد المواجهات لتصل الى تفجير التوترات الحادة بين الدول. هنا يأتي دور القادة للدول ليكون المدير لهذه الأزمات والتوترات وهذا الدور يتوقف على تلك السمات التي يتمتع بها القادة، فقد توفر سمات معينة توجهات خاصة لديهم نحو التعاون والحلول السلمية لهذه التوترات التي ينتجها النظام الدولي مهما كانت حدتها. وقد تكون سمات القادة عاملا في زيادة التوترات وتحولها الى صراعات وحروب ولاسيما بعد أن تكون إحدى الدول أو بعضها قد عانت طويلا من سلسلة من الاخفاقات في جهودها التي

بذلتها لتحقيق وتعزيز مكانتها الدولية أو استعادتها بعد فقدانها.

روسيا هي هذه الدولة التي وقعت في هذه الجدلية المحتدمة فقد واجهت قوى دولية راسخة وقوية ولديها من القدرات الاقتصادية والمالية والتقنية والعسكرية والاعلامية ما جعل روسيا تعاني كثيرا لعدم قدرتها على تحقيق خرق كبير في جدار التحالفات والشراكات الاستراتيجية لتلك الدول والتي تضر كثيرا بالمصالح الروسية وأمنها القومي على الغم من دول أخرى كالصين حققت مثل ذلك الخرق لصالحها. هذا الاخفاق انعكس سلباً على سياستها الخارجية فهي لم تعد تملك غير الوسيلة العسكرية للرد على تلك التهديدات لأمنها ومصالحها القومية.

الهوامش:

١- ريتشارد نيد ليبو، لماذا تتحارب الأمم، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، سلسلة عالم المعرفة رقم ٤٠٣، ٢٠١٣، ص و ص ١٨و١٩و٢٠.

٢- برتران بادي، حروب الأمس واليوم، في أوضاع العالم ٢٠١٥ الحروب الجديدة، ترجمة: نصير مروّة، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٥، ص١٠.

٣- برتران بادي، مصدر سبق ذكره، ص١٢و١٣.

٤- كنيث. ن. والتز، الانسان والدولة والحرب تحليل نظري، ترجمة: عمر سليم التل، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع كلمة، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٣، ص٢٤.

٥- برتران بادي، مصدر سبق ذكره، ص٩.

٦- برتران بادي، مصدر سبق ذكره، ص وص١٠ و١١.

٧- نفس المصدر السابق، ص وص١١و١٢.

٨- ريتشارد نيد ليبو مصدر سبق ذكره، ص وص١٢و١٣و١٤.

٩- نفس المصدر السابق، ص وص١٥و١٦.

١٠- أميتاي أتزيوني، تجربة كندي، في سيكولوجية العدوان بحوث في ديناميكية العدوان لدى الفرد، الجماعة، الدولة، فرويد، لورنر، ولتزر، سيرز، ميلر وآخرون، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠١٣، ص٢٩٩.

١١- تفس المصدر السابق، ص و ص ٣٠٢و٣٠٣.

١٢- ريتشارد نيد ليبو، مصدر سبق ذكره، ص٢٢و٢٣.

١٣- نفس المصدر السابق، ص٢٣.

١٤- لويد جنسن، تفسير السياسة الخارجية، ترجمة: محمد بن أحمد مفتي ومحمد السيد سليم، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٩٨٩، ص ٢٢.

١٥- ريتشارد نيد ليبو، مصدر سبق ذكره، ص٢٣.

١٦- لويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص٢٢.

١٧- نفس المصدر السابق، ص و ص ٣٦و٣٧.

١٨- لويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

١٩- لويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

٢٠- نفس المصدر السابق، ص ٢٠.

٢١- لويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص – ص ٢٨-٢٩.

*-أميركي الجنسية ولد عام ١٩٤٢وهو استاذ كرسي جيمس فريدمان الرئاسي في مجال الحكم في كلية دارتموث، وهو كذلك البروفسور المئوي للعلاقات الدولية في جامعة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية. وله كتب عديدة فازت بجوائز وطنية وعالمية.

٢٢- ريتشارد نيد ليبو، مصدر سبق ذكره، ص وص٢٧و٢٨.

المصادر

١- أميتاي أتزيوني، تجربة كندي، في سيكولوجية العدوان بحوث في ديناميكية العدوان لدى الفرد، الجماعة، الدولة، فرويد، لورنر، ولتزر، سيرز، ميلر وآخرون، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠١٣.

٢- إيفو فايرابند وروزا ليند فايرابند، السلوك العدواني للدول ١٩٤٨ – ١٩٦٢ دراسة تتناول عدة دول، في: سيكولوجية العدوان بحوث في ديناميكية العدوان لدى الفرد، الجماعة، الدولة، فرويد، لورنر، ولتزر، سيرز، ميلر وآخرون، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠١٣.

٣- برتران بادي، حروب الأمس واليوم، في أوضاع العالم ٢٠١٥ الحروب الجديدة، ترجمة: نصير مروّة، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٥.

٤- ريتشارد نيد ليبو، لماذا تتحارب الأمم، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب–الكويت، سلسلة عالم المعرفة رقم ٤٠٣، ٢٠١٣.

٥– – كنيث. ن. والتز، الانسان والدولة والحرب تحليل نظري، ترجمة: عمر سليم التل، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع كلمة، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٣.

٦– لويد جنسن، تفسير السياسة الخارجية، ترجمة: محمد بن أحمد مفتي ومحمد السيد سليم، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٩٨٩.

.

.